العمل الصالح

جزاؤه . أنواعه . أفضله



بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

من هدي الإسلام

١١

العمل الصالح

بقلم

فضيلة الأستاذ

أحمد عز الدين البيانوني

رحمه الله تعالى

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثالثة
1419 هـ - 1999 م

رقم الإيداع 4226 / 86

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة – مصر 120 شارع الأزهر ص ب 161 الغورية
هاتف 5932820 - 2704280 - 2741578 (202) فاكس 2741750 (202)

التّعريفُ بالمؤلّف

هو : الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ، الملقب بأحمد الصياد . ابن الشيخ عيسى البيانوني رحمهما اللّه .

والبيانوني : نسبة إلى قرية « بيانون » التي تقع شمالي مدينة حلب على بعد خمسة عشر (كيلو مترًا) تقريبًا وهي مسقط رأس والده الشيخ عيسى رحمه اللّه تعالى .

ولد الشيخ أحمد عام 1330 هـ – 1913 م في مدينة حلب ، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه اللّه تعالى ، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة ، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام 1968 م . كان مهتمًّا بالدعوة الإسلامية عامة ، والتربية العملية خاصة ، آخذًا بالعزائم حريصًا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عام 1965 م في تكوين مدرسة تربوية خاصة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد باسم « جماعة أبي ذر »

نسبة إلى مكان تأسيسها ، حيث نشأت في جامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجماعة بالتربية الإسلامية الدقيقة ، وعنيت بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجالات الحياة كافة .

كما عني (رحمه اللّه تعالى) بكتابة ونشر الكتب الإسلامية ذات الحجم الصغير ، وألّف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلة العبادات ، وسلسلة من هدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفاته فيها على عشرين كتيبًا . وقد لاقت مؤلفاته هذه قبولًا واسعًا في مختلف المستويات والبلدان نظرًا لما تمتاز به من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

تُوفي رحمه اللّه يوم الجمعة 17 ذي الحجة 1395 هـ الموافق 19 كانون الأول 1975 م ودفن في مقبرة الأعرابي في مدينة حلب ، رحمه اللّه تعالى رحمة واسعة ، وأقر عينه بالثواب الجزيل ، والأجر المستمر إن شاء اللّه إلى يوم الدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ... ﴾ .

(آل عمران : 30)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه العليم الحكيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، صاحب الخلق العظيم والشرع القويم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وتابعيهم على السنَن السويّ والنهج الكريم .

وبعد ؛ فإن اللّه تعالى بحكمته خلق الخلق ، وأرسل الرسل ، وشرع الشرائع ؛ ليتعرّف إلى عباده بنعمته ، ويتفضل عليهم برحمته ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ؛ ليعرفوه ويعبدوه .

وفي هذا قال اللّه تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

(الذاريات : 56)

شرع اللّه تعالى عبادات حكيمة ، تزكي النفوس وتسمو بالأرواح .

وهدى إلى أخلاق كريمة ، يعيش الناس بها إخوة متحابين .

ولقد مرّت الأمة الإسلامية ، بعصور ذهبية رائعة ، كان شعارها الإيمان والعمل الصالح ، فسمتْ إلى أعلى مراتب الإنسانية الرفيعة ، وكانت المثل الأعلى في الخلق الكريم والمجد الرفيع .

وكان الناس في تلك العصور ، ترتاح نفوسهم إلى الطاعة والعمل الصالح ، كما ترتاح نفوسنا اليوم ؛ إلى المأكل الشهيّ ، والعذب البارد الرويّ .

ولقد سعد سلف هذه الأمة ، بالأعمال الصالحة ، ونعموا بالأخلاق الكريمة ، وسعد بهم العالم أجمع ، حين انتشروا فيه انتشار العافية في الجسد المريض ، وحلّوا في بقاعه حلول المطر في الأراضي العطشى الجديبة ، وأناروا للناس سبل الحياة السعيدة الرغيدة ، وهدَوهم فيها إلى معارج الكمال الإنساني المنشود .

فكانوا شموس الهدى الساطعة ، والمنار الهادي لكل بصير .

وطيّبوا بقاع الأرض ، بما نشروه فيها من الهدْي الكريم ، ورسموه من السير المستقيم ، حتى كانوا طِيبها العابق وزهرها الفوّاح .

وصحف التاريخ ملأى بالأعمال الجليلة ، والآثار الباهرة .

يحدثنا التاريخ : أنهم كانوا عُبّادًا بالليل ، فرسانًا بالنهار .

لم يتركوا ميدان سبق ، إلا استبقوا إليه فسبقوا .

ولا مجال خير ، إلا أسرعوا إليه وابتدروا .

ولا موطن بذل ، إلا جادوا فيه وبذلوا ..

وبهذا قطفوا ثمراتٍ يانعة من عملهم الصالح ، فحازوا معيّة اللّه الخاصة :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

(النحل : 128)

وكَسبوا محبة اللّه تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (البقرة : 195)

وتعرّضوا لرحمة اللّه تعالى :

﴿ وَلَا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الأعراف : 56)

وعاشوا في رعاية اللّه تعالى وهدايته .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (لقمان : 2 ، 3)

ونعموا بالوعد الحسن والبشرى الكريمة ، في قوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الحج : 37)

وسينالون في الآخرة مثوبة اللّه تعالى ، حين يقال لهم :

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (المرسلات : 43 ، 44)

سعِدَ السلف الصالح بما هُدُوا إليه من العمل الصالح ، وذاقوا حلاوة الإيمان ، وفازوا برضا الرحمن ، وشعروا في أنفسهم بسعادة لا تدانيها سعادة ، حتى قال قائلهم :

لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم ، لجالدونا عليه بالسيوف .

ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا هذا الأدنى ، فأخلدوا إلى الدنيا ، واستهوتهم اللذات ، وانصرفوا عن الطاعات ،

واسترسلوا في الشهوات ، وهاموا على وجوههم في طلبها ، فانحطّوا إلى مستوى البهيمة ، وفقدوا معاني الإنسانية ، وغلبت عليهم المادية الطاغية ، فارتطموا في هوة الشقاء ، وأخذوا يتلّمسون طريق النجاة ، تلمُّسَ الحائر الضالّ ، وراء الأمم المادية التائهة ... فلم يجدوه ، وحسبوه في تقليد أجنبي أعمى ، ومظاهر براقة خادعة ، وأماني سرابية كاذبة . فافتقروا بعد غنى ، وذلّوا بعد عز ، وضعفوا بعد قوة ، وشقُوا بعد سعادة وهناءة .

ولا سبيل إلى النجاة ، إلا بالعودة إلى دين اللّه الحق ، والاهتداء بشرعه الحق ، والعمل الصالح الذي دعا إليه ، والخُلق الرفيع الذي حضَّ عليه .

فالإنسان إنسان بروحه السامي ، وصلته الوثيقة الصادقة باللّه عز وجل ، وإقامة شريعة اللّه في الأرض ، وإحياء العمل الصالح والخُلق الكريم .

من أجل هذا ، أخرجت هذه العُجالة في العمل الصالح ، وما يتفرع عنه من ثمرات عاجلة في الدنيا ، ومثوبات باقية في الآخرة .

وأسأل اللّه تعالى أن ينفع بها ، ويُحسِن عملي ، ويوفقني بمرضاته .

واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

في 1 ربيع الأول 1395 هـ .

أَحْمَد عِزّ الدّين البَيَانُوني

العمل الصالح

تمهيد :

ذكر العمل الصالح في القرآن الكريم بين دعوة إليه ، وحضّ عليه ، وثناء على أهله ، قريبًا من مائة مرة .

من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ . (سورة العصر)

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ .

(الفرقان : 71)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

(النحل : 97)

وكذلك جاءت أحاديث كثيرة في الحض على العمل الصالح ، منها :

« بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل

المظلم ، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » . (مسلم)

« بادروا بالأعمال سبعًا : هل تنتظرون إلا فقرًا مُنْسِيًا ، أو غنىً مُطغيًا ، أو مرضًا مُفسدًا ، أو هرمًا مُفْنِدًا – أي موقعًا في الفند وهو كلام المخرِّف – أو موتًا مجْهزًا ، أو الدجال فشرُّ غائب يُنتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ » .

(الترمذي)

« يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله .

فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث القدسي : « ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنّه » . (البخاري)

« يا عبادي ! إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم

أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » . (مسلم)

« يا ابن آدم ! إنما هي أربعة : واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة بيني وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقي .

فأما التي لي : فأن تعبدني لا تشرك بي شيئًا .

وأما التي لك : فعملك أجزيك به أحوج ما تكون إليه .

وأما التي بيني وبينك : فعليك الدعاء وعليّ الإجابة .

وأما التي بينك وبين خلقي : فأن تأتي الناس بما تحب أن يأتوك به » . (الطبراني)



الأمر بالطاعة والحض عليها

خلق اللّه تعالى الخلق ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

ومن شأن الإله أن يأمر وينهى ، وعلى العبد الامتثال والطاعة .

وقرن اللّه تعالى الأمر بطاعته بالأمر بطاعة رسوله ﷺ :
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ . (الأنفال : 1)

وجعل اللّه الطاعة علامة الإيمان ، والمعصية سمة الكفر والكافرين :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ .. ﴾ . (المائدة : 92)

وعلّق الرحمة على طاعته وطاعة رسوله :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ .
(آل عمران : 132)

وجعل مثوبة الطاعة الفوز بالجنة والنجاة من النار :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ . (النور : 52)

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ . (النساء : 13)

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ . (النساء : 69)

* * *

التحذير من المعصية

كما وعد الله تعالى على الطاعة الرحمة والمثوبة والرضا والجنة ، فإنه أوعد من اقترف المعصية السخط والعذاب ، ووصف صاحبها بالضلال المبين :

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ .

(الأحزاب : 36)

وإذا اقترنت المعصية بالكفر ، أدّتْ في الآخرة إلى الخلود في العذاب المهين :

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

(النساء : 14)

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ . (الجن : 23)

طاعة الرسول من طاعة الله

لما كان الرسول ﷺ مبلّغًا عن ربه عز وجل ، كان أمره

من أمر اللّه ، ونهيه من نهي اللّه ، وطاعته من طاعة اللّه :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ... ﴾ .

(النساء : 80)

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ ... ﴾ . (النور : 54)

وفي الحديث الشريف : « من أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومن عصاني فقد عصى اللّه ... » . (البخاري ومسلم)

« كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ! قالوا : ومن يأبى يا رسول اللّه ؟! قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . (البخاري)

شعار المؤمن الطاعة

إذا صدق إيمان العبد باللّه عز وجل ، وبرسوله ﷺ ، لم يَسَعْه إلا المبادرة لامتثال أمرهما ، والبعد عن نهيهما .

وإذا صدق إيمان العبد بمثوبة اللّه تعالى وجنته ، سعى إليها سعيها ، وعمل بما يقرِّبه إليها ، وإذا صدق إيمانه بعذاب اللّه وناره ، هرب من المعاصي التي توصله إليها .

فشعار المؤمن السمع والطاعة ، والعمل للجنة ، والهرب

من النار :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ . (البقرة : 285)

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ . (النور : 51)

ويذكِّر اللّه تعالى عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم ، وإرساله هذا النبي الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعته ، ومناصرته ، ومؤازرته ، والقيام بدينه ، وإبلاغه عنه ، وقبوله منه :

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ ﴾ . (المائدة : 7)

وفي الحديث الشريف :

« بايعْنا رسولَ اللّه ﷺ على السمع والطاعة في

العُسر واليُسر ، والمنشَط والمكره ... » .

(البخاري ومسلم وغيرهما)

المنشَط : الأمر الذي ينشَط له المرء ، ويخف إليه ، ويؤثر فعله .

والمكره : الأمر الذي يكرهه ، ويتثاقل عنه .

المطيع يستحق الرحمة

أقرب الناس إلى رحمة اللّه العامل بطاعة اللّه ، البعيد عن معصية اللّه .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى فقال عز وجل :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(الأعراف : 56)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

(التوبة : 71)

النفس أمّارة بالسوء

قال اللّه تعالى على لسان امرأة العزيز حين اعترفت بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ... ﴾ . (يوسف : 53)

ولهذا كانت مخالفة النفس فضيلة :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ . (النازعات : 40)

وقال بعض السلف : مخالفة النفس رأس العبادة .

النفس الأمارة بالسوء : هي الداعية إلى المهالك ، المتبعة للهوى ، المتهمة بأصناف السوء .

من لم يتّهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجرّها إلى مكروهها في جميع أيامه كان مغرورًا ، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها .

ما عُبِد اللّه تعالى بشيء مثل مخالفة النفس والهوى .

أصل كل معصية وغفلة وشهوة : الرضا عن النفس .

وأصل كل طاعة ويقظة وعفة : عدم الرضا منك عنها .

ولأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه ، خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه .

ورحم اللّه البوصيري إذ يقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

وخالف النفس والشيطان واعْصهما

وإن هما محَّضاك النصح فاتهمِ

من أجل هذا كان من الواجب دوام تعهّد النفس ومراقبتها ومحاسبتها .

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا .

وقال بعض السلف : تعهّدْ نفسك في ثلاثة مواضع :

إذا عملت ، فاذكر نظر اللّه تعالى إليك ، وإذا تكلمت فاذكر سمع اللّه تعالى إليك ، وإذا سكتَّ فاذكر علم اللّه تعالى فيك .

الشيطان يأمر بالسوء

قال اللّه تعالى في قصة آدم عليه السلام وحواء :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا [1] فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾ .

(البقرة : 36)

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

(1) أي عن الجنة .

تَعْلَمُونَ ﴾ . (البقرة : 168 ، 169)

فالشيطان يوسوس للإنسان ، ويأمره بالسوء ، ويوقعه في الزلل ...

ولهذا أعلن اللّه تعالى للإنسان عداوة الشيطان ، ليحذره ويخالفه ويتعوذ باللّه منه .

وفي الحديث القدسي : « إني خلقت عبادي حُنَفاء – أي على فطرة الإسلام – فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم – أي ذهبت بهم – عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم » . (مسلم)

وفي الحديث الشريف : « إن للشيطان لِـمَّةً بابن آدم ، وللملَك لمة :

فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق .

وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من اللّه فليحمد اللّه .

ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ من الشيطان » .

ثم قرأ رسول اللّه ﷺ :

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ... ﴾ (البقرة : 268) ، (والحديث رواه الترمذي والنسائي) .

* * *

التحذير من طاعة أهل الضلال

أهل الكفر لا يدعون إلا إلى كفر ، وأهل الضلال لا يهدون إلا إلى ضلال ، وأهل الباطل مولعون بالدعوة إلى الباطل .

لهذا حذّر اللّه تعالى عباده المؤمنين من طاعة هؤلاء ، فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ .

(آل عمران : 149)

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . (الأنعام : 121)

﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ . (الشعراء : 151 ، 152)

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ . (الأحزاب : 48)

وقد نهى اللّه تعالى الإنسان أن يطيع أبويه في معصية أو

كفر ، مع عظم حقهما عليه ، فقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ... ﴾ . (العنكبوت : 8)

وقال تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة على لسان الكافرين الذين أضلهم كبراؤهم وزعماؤهم :

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ . (الأحزاب : 67 ، 68)

الحسن ما استحسنه الشرع

كل ما أمر به الإسلام وحضّ عليه ورغّب فيه حسنٌ جميل .

وكل ما نهى عنه ، وحذّر منه سيئ قبيح .

وقد تمرض القلوب ، وتضلّ العقول ، وتعتلُّ الأذواق ، فيرى أصحابها السيئ حسنًا ، والحسن قبيحًا .

قال اللّه تعالى منددًا على هؤلاء ، ذامًّا لهم :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى

ﭐلْحَيَوٰةِ ﭐلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

(الكهف : 103)

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾ . (محمد : 14)

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ... ﴾ . (فاطر : 8)

وقد صدق على أمثال هؤلاء قول الشاعر :

يقضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسنِ

ومن كلام السلف الصالح رضي الله عنهم :

كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وأهواؤهم ، فجاء النبي ﷺ فردَّهم إلى الشريعة والاتباع ، فالعقل السليم هو الذي يستحسن ما استحسنه الشرع ، ويستقبح ما استقبحه الشرع .

الاعتصام بالكتاب والسنّة

لابدَّ في العمل الصالح أن يكون موافقًا لما جاء في كتاب اللّه تعالى ، وسنَّة رسوله ﷺ .

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ... ﴾ . (الحشر : 7)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ . (آل عمران : 31)

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

(الأحزاب : 21)

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . (النور : 63)

وفي الحديث الشريف : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

(أبو داود والترمذي)

النواجذ : الأضراس .

وقوله : عضوا عليها بالنواجذ : مَثَل في شدة الاستمساك بالأمر .

ومحدثات الأمور : مالم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة ولا إجماع . والبدعة : الابتداع فإن كان في خلاف ما أمر اللّه تعالى به ، ورسوله ﷺ ، فهو منكر مذموم مردود .

وإن كان واقعًا تحت عموم ما ندب اللّه تعالى إليه ، وحضّ عليه ، أو رسوله ﷺ ، فهو ممدوح ، وإن لم يكن مثاله موجودًا .

ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به ؛ لأن رسول اللّه ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابًا ، فقال :

« مَنْ سنَّ سنَّة حسنة ، كان له أجرها وأجر من عمل بها » . (مسلم)

وقال في ضده :

« من سنّ سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ... » . (مسلم)

وذلك إذا كان في خلاف ما أمر اللّه تعالى به ، ورسوله ﷺ . ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في صلاة التراويح ، حين جمع الناس فيها على إمام واحد : نِعْمتِ البدعة هذه ، لما كانت من أفعال الخير ، وداخلة في المدح ، سماها بدعة ومدحها .

وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها ، إلا أنه تركها ، ولم يحافظ عليها ، ولا جمع الناس عليها ، فمحافظة عمر رضي اللّه عنه عليها ، وجمعُه الناس لها بدعة ، لكنها بدعة محمودة ممدوحة .

هذا ، وإن طاعة الرسول ﷺ من طاعة اللّه .

قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ .

(النساء : 80)

وقد شرع اللّه تعالى في القرآن الكريم ما شرع ، وأمر بما أمر ، ونهى عما نهى ، وكذلك رسول اللّه ﷺ ، شرع في السنَّة ما شرع ، وأمر بما أمر ، ونهى عما نهى .

وفي الحديث الشريف : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، هو متكىء على أريكته ، فيقول :

بيننا وبينكم كتاب اللّه ، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرّمناه . وإن ما حرّم رسول اللّه كما حرم اللّه » . (أبو داود والترمذي)

– « إن مَثَلي ومثل ما بعثني اللّه به ، كمثل رجل أتى قومه فقال :

إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا – أي ساروا الليل كله – فانطلقوا على مهلهم فنَجوا . وكذَّبت طائفة منهم ، فأصبّحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم ، واجتاحهم .

فذلك مثل من أطاعني ، واتّبع ما جئت به ، ومثل من عصاني ، وكذّب ما جئت به من الحق » .

(البخاري ومسلم)

والنذير العُريان : الذي لا ثوب عليه ، وخَصَّ العُريان ؛ لأنه أبين في العين . وأصل هذا أن الرجل منهم كان إذا أنذر

قومه ، وجاء من بلد بعيد ، انسلخ من ثيابه ، ليكون أبين للعين .

– وفي الحديث الشريف : « مَثَلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا ، فجعل الجنادب والفَراش يقعن فيها ، وهو يَذُبّهن عنها – أي يمنعهن من الوقوع في النار – وأنا آخذٌ بُحجزِكم عن النار ، وأنتم تُفْلِتون من يَديّ » . (مسلم)

والجنادب : نحو الجراد والفَراش المعروف الذي يقع في النار .

والحُجَز : جمع حُجْزة ، وهي معقِد الإزار والسراويل .

– وفي الحديث الشريف : « مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ » (البخاري ومسلم وأبو داود) . أي مردود لأنه مخالف للسنة .

– وكان عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه يقول : من كان مُستنًّا – أي متَّبعًا للسنة – فلْيستنَّ بمن قد مات ، فإن الحي لا تُؤمَن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا أفضل هذه الأمة : أبَرّها قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلّها تكلّفًا ، اختارهم اللّه لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ،

فاعرفوا لهم فضلهم ، واتّبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

– ومن كلام السلف رضي اللّه عنهم :

اسلكوا سبيل الاتّباع ، فإن سلكتموه سبَقتم سبقًا بعيدًا ، وإن أخذتم يمينًا وشمالاً – يعني انحرفتم – ضللتم ضلالًا بعيدًا .

الطرق إلى اللّه تعالى كثيرة ، وأصحها وأعمرها وأبعدها عن الشُّبَه ، اتّباع السنَّة قولًا وفعلًا ، وعقدًا ونية ؛ لأن اللّه تعالى يقول :

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ . (النور : 54)

– من ألزم نفسه آداب السنة ، نوّر اللّه تعالى قلبه بنور المعرفة ، ولا مقامَ أشرفُ من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه ، والتأدب بآدابه قولًا وفعلًا .

– لا يقبل اللّه تعالى من الأعمال إلا ما كان صحيحًا . ولا يقبل من صحيحها إلا ما كان خالصًا . ولا يقبل من خالصها إلا ما وافق السنَّة .

- لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات ، حتى يرتقي في الهواء ، ويمشي على الماء ، فلا تغترّوا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة .

الأمر بالإحسان والحض عليه

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾ .

(النساء : 125)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ . (فصلت : 33)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ... ﴾ .

(النحل : 90)

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ... ﴾ . (لقمان : 22)

وفي الحديث الشريف : « الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ... » . (مسلم)

من ثمرات الإحسان

الإحسان أعلى مقامات الطاعة ، وله ثمرات ؛ منها :

1 — معية اللّه تعالى :

قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ . (النحل : 128)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (العنكبوت : 69)

أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه . وهذه معيّة خاصة .

وأما المعية العامة ، فبالسمع والبصر والعلم :

كقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

(الحديد : 4)

وكقوله عز وجل :

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . (المجادلة : 7)

ومن ثمرات الإحسان :

2 - محبة الله تعالى :

﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (البقرة : 195)

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (آل عمران : 134)

وهذا من مقامات الإحسان .

ومن ثمرات الإحسان :

3 - رحمة الله تعالى :

قال بعض السلف :

استنجزوا موعود الله بطاعته ، فإنه قضى أن رحمته

قريب من المحسنين .

قال تعالى : ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الأعراف : 56)

وقال عز وجل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . (الأعراف : 156)

والتقوى من الإحسان .

ومن ثمرات الإحسان :

4 – الهداية :

قال اللّه تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (لقمان : 2 ، 3)

فاللّه تعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين ، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع شريعة اللّه ، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى اللّه في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ،

ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورًا ...

فمن فعل ذلك فهو من المتقين المحسنين المهتدين .

ومن ثمرات الإحسان :

5 – البشرى الصالحة :

قال تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الحج : 37)

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ [1] لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الأحقاف : 12)

ومن ثمرات الإحسان :

6 – حسن المثوبة :

وعد الله تعالى المحسنين حُسْن الثواب ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(المرسلات : 41 - 44)

---

(1) أي لما قبله من الكتب .

شتان بين محسن ومسيء

اللّه تعالى أعدل وأحكم من أن يساوي بين محسن ومسيء ، وبرّ وفاجر ، ومُتّقٍ وفاسق ، ومؤمن وكافر ...

كما لا يستوي في نظر الناس الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، فإنه لا يستوي عند اللّه المحسن والمسيء ، ولهذا أعد المثوبة للمحسن ، والعقوبة للمسيء .

قال اللّه تعالىٰ :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . (الجاثية : 21)

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ .

(السجدة : 18)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ . (الزمر : 9)

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (غافر : 58)

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ... ﴾ .

(غافر : 19 - 22)

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ [1] كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (هود : 24)

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ . (الحشر : 20)

اللّه لا يضيع أجر المؤمنين المحسنين

اللّه تعالى جواد كريم ، لا يضيع أجر المحسنين ، يثيب الطائع على طاعته ، ويجزي المحسن بإحسانه ، أضعافًا مضاعفة ، واللّه عنده حسن الثواب :

قال اللّه تعالى : ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (يوسف : 56)

(1) المؤمنون والكافرون .

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(هود : 115)

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ... ﴾ . (النساء : 173)

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾ . (يونس : 26)

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ . (النجم : 31)

وقال تعالى في المجاهدين الصابرين :

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (آل عمران : 148)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ [1] ولا مخمصة [2] فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً

(1) أي تعب . (2) أي مجاعة .

وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . (التوبة : 120 ، 121)

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ .

(آل عمران : 195)

قال بعض السلف : لا تتّهموا اللّه تعالى في قضائه ، فاللّه لا يبغي على أحد ، فإذا أنزل بأحدكم شيئًا مما يحب ؛ فليحمد اللّه ، وإذا أنزل به شيئًا مما يكره ؛ فليصبر وليحتسب ، فإن اللّه عنده حسن الثواب .

إنما الأعمال بالنيات

لابد من إحضار النية ، في جميع الأعمال والأقوال والأحوال الظاهرة والخفية :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

ٱلدِّينَ ... ﴾ . (البينة : 5)

وفي الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله ، فهجرته إلى اللّه ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها - أي يتزوّجها - فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

(البخاري ومسلم)

« إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه تعالى ، إلا أُجرت عليها ، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك » (البخاري ومسلم) . أي في فمها ...

وسئل رسول اللّه ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حميّة - أي محاماة عن عشيرته - ويقاتل رياء . أي ذلك في سبيل اللّه ؟

فقال رسول اللّه ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة اللّه هي العليا ، فهو في سبيل اللّه » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : « إذا أنزل اللّه بقوم عذابًا ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم » .

(البخاري ومسلم)

وفي رواية : « إن اللّه إذا أنزل سطوته بأهل نقمته ، وفيهم الصالحون ، قُبِضوا معهم ، ثم بُعثوا على نياتهم وأعمالهم » . (ابن حبان)

وللنية تأثير عظيم في عون اللّه تعالى العبد ، أو خذلانه :

ففي الحديث الشريف : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى اللّه عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللّه » .

(البخاري)

الأمر بالمبادرة بالأعمال

لما كانت الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، كان جديرًا بالمؤمن أن يسارع في الدنيا إلى كل عمل صالح ، ليتزود إلى آخرته بما يجد ثوابه عند اللّه عز وجل .

قال اللّه تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ... ﴾ (البقرة : 148) . أي سارعوا إليها .

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(آل عمران : 133)

وفي الحديث الشريف : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : « أرأيت - أي أخبرني - إن قُتِلتُ فأين أنا ؟ قال : في الجنة . فألقى تَمرات كنّ في يده ، ثم قاتل حتى قُتل » .

(البخاري ومسلم)

كثرة طرق الخير

خلق اللّه تعالى الإنسان ضعيفًا ، وعلم ضعفه فنوّع له ألوان العبادات والأعمال الصالحة ، حتى إذا أدركه الملل من عمل ، انتقل إلى عمل آخر يجد فيه الرغبة والنشاط ، فيكثر من الصالحات التي يدّخرها لآخرته :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ . (البقرة : 215)

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ . (الزلزلة : 7)

وفي الحديث الشريف : « يصبح على كل سُلامَى - أي مِفصل - من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ،

وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهيٌ عن المنكر صدقة . ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . (مسلم)

« كلُّ سلامي من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته ، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » . (البخاري ومسلم)

« عُرِضتْ عليّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها ، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق - أي يُنحّى عنه - ووجدت من مساوئ أعمالها النخاعةُ تكون في المسجد لا تُدفن » . (مسلم)

وفي حديث آخر : « بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث - أي يخرج لسانه من شدة العطش - يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبُ من العطش مثلَ الذي كان قد بلغ مني .

فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رَقِي ، فسقى الكلب ؛ فشكر اللّه له ، فغفر له » .

قالوا : يا رسول اللّه ، إن لنا في البهائم أجرًا ؟! فقال : « في كل كبد رطبة أجر » . (البخاري ومسلم)

أي في إرواء كل حي ثواب .

وفي حديث آخر : « مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق ، فقال : واللّه لأُنحّينّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم . فأَدخل الجنة » . (مسلم)

وقال رسول اللّه ﷺ مرة لأصحابه : « ألا أدلكم على ما يمحو اللّه به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول اللّه . قال : إسباغ الوضوء على المكاره – أي في نحو برد شديد – وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » (مسلم) أي كالجهاد في سبيل اللّه .

وفي حديث آخر :

« ما من مسلم يغرس غرسًا ، إلا كان له ما أُكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يُرزَؤه – أي ينقصه –

أحد إلا كان له صدقة » .   (مسلم)

وفي حديث آخر : « اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة » (البخاري ومسلم) - أي نصفها - .

وفي الحديث الشريف : « على كل مسلم صدقة . قال : أرأيتَ إن لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير . قال أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر ، فإنها صدقة » .   (البخاري ومسلم)

الاقتصاد في الطاعة

إذا قوي إيمان العبد بالله وباليوم الآخر ، اشتدت رغبته في طاعة الله ، حبًا به وشكرًا له على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى ، ورغبةً في رضاه العاجل في الدنيا ، وثوابه الآجل في الآخرة .

وعلى هذا فقد يحمّل العبد نفسه من الطاعات ما لا

يطيق المداومة عليها ، فتدركه في ذلك مشقة ، وتسأم نفسه منها ، وتنقطع عنها .

فمن رحمة اللّه تعالى بعباده أحبَّ لهم الاقتصاد في الطاعات ، والعمل بما يطيقون .

قال اللّه تعالى : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ . (طه : 1 ، 2)

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ .

(البقرة : 185)

« وعن عائشة رضي اللّه عنها ، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة . قال : مَنْ هذه ؟ قالت : هذه فلانة ، تذكر من صلاتها . قال : مَهْ - كلمة نهي وزجر - عليكم بما تطيقون ، فواللّه لا يَمَلّ اللّه حتى تَمَلّوا . وكان أحبُّ الدين إليه ، ما داوم عليه صاحبه » . (البخاري ومسلم)

ومعنى : لا يمل اللّه : لا يقطع ثوابه عنكم ، ويعاملكم معاملة المالّ ، حتى تملّوا فتتركوا ، فينبغي أن تأخذوا من العمل ما تطيقون الدوام عليه ، ليدوم ثوابه لكم ، وفضله عليكم .

وجاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ .

فلما أخبروا ، كأنهم تقالّوها – أي عدّوها قليلة .

وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي الليل أبدًا .

وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر .

وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدًا .

فجاء رسول اللّه ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ وأما واللّه إني لأخشاكم للّه وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي – أي أعرض عنها – فليس مني » .

(البخاري ومسلم)

« إن الدين يسر ، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه – أي لكثرة طرقه – فسددوا وقاربوا وأبشروا بالغدوة والرَّوحة ، وشيءٍ من الدُّلْجَة » . (البخاري)

أي استعينوا على طاعة اللّه عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم ، بحيث تستلذون العبادة ، ولا تسأمون ، وتبلغون مقصودكم . كما أن المسافر الحاذق ، يسير في هذه الأوقات ، ويستريح هو ودابته في غيرها ، فيصل إلى المقصود بغير تعب .

ودخل النبي ﷺ المسجدَ فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتين – أي عمودين – فقال : « ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترتْ – أي كسِلت عن القيام في الصلاة – تعلقتْ به . فقال النبي ﷺ : حُلّوهُ ، لِيصَلّ أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد » . (البخاري ومسلم)

« إذا نَعَس أحدكم وهو يصلي فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإنه إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسُبُّ نفسه » (البخاري ومسلم) ؛ أي يدعو عليها .

وآخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متَبَذلة – أي تاركة ثياب الزينة – وذلك قبل فرض الحجاب .

فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، يصوم النهار ، ويقوم الليل .

فجاء أبو الدرداء ، فصنع له طعامًا ، فقال له : كلْ فإني صائم .

قال : ما أنا بآكل حتى تأكل . فأكل ، فلما كان الليل ، ذهب أبو الدرداء يقوم . فقال له سلمان : نم . فنام ، ثم ذهب يقوم . فقال له : نم . فلما كان آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن . فصليا جميعًا .

فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًّا ، وإن لنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأَعطِ كل ذي حق حقه . فأتى – أبو الدرداء – النبي ﷺ ، فذكر ذلك له . فقال النبي ﷺ : صدق سلمان . (البخاري وغيره)

وقال ﷺ لعبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما : « ألم أُخْبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : بلى يا رسول اللّه . قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقًّا ، وإن لعينيك عليك حقًّا ، وإن لزوجك عليك حقًّا ، وإن لزَورك – أي ضيفك – عليك

حقًّا » . (البخاري ومسلم)

وعن حنظلة بن الربيع أحد كتّاب رسول اللّه ﷺ قال : « لقيني أبو بكر ، رضي اللّه عنه ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة – أي خاف على نفسه النفاق – قال : سبحان اللّه ! ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول اللّه ﷺ ، يذكُرنا بالجنة والنار كأنّا رأيَ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول اللّه ﷺ ، عافسنا – أي لاعبْنا – الأزواج والأولاد والضيعات – يعني المعايش – فنسينا كثيرًا .

قال أبو بكر رضي اللّه عنه : فواللّه إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول اللّه ﷺ . فقلت : نافق حنظلة يا رسول اللّه ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول اللّه ، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي العين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرًا .

فقال رسول اللّه ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إن لو

تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة ، ساعةٌ وساعة ، ساعةٌ وساعة » . (مسلم)

« وبينما النبي ﷺ يخطب مرة ، إذا هو برجل قائم . فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يقعد ولا يستظلّ ولا يتكلم ، ويصوم .

فقال النبي ﷺ : مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، ولْيُتِمَّ صومه » . (البخاري)

المحافظة على الأعمال

الأعمال الصالحة من عبادات وطاعات ، غذاء روحي للإنسان ، فتنبغي المداومة عليها ، فإذا اعتاد العبد طاعة من الطاعات ، فليدم عليها ، ليدوم غذاء روحه ، وتدوم حياتها .

لهذا أمر اللّه تعالى نبيه ﷺ بالمداومة على عبادته فقال : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (الحجر : 99) ؛ يعني الموت .

ونهى اللّه تعالى عباده المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم وعهودهم بعد توثيقها وإبرامها ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ... ﴾ . (النحل : 92)

شبّه اللّه تعالى الذين يحلفون ويعاهدون ، ويُبرمون عهودهم ، ثم ينقضونها ، بالمرأة تغزل غزلها وتفتِله محكمًا ، ثم تحلّه .

ويروى أن امرأة حمقاء بمكة ، كانت تفعل ذلك ؛ فيها وقع التشبيه .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . (الحديد : 16)

وفي الحديث الشريف : « أن رسول الله ﷺ كان أحبُّ الدين إليه ، ما داوم صاحبه عليه » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : « من نام عن حزبه من الليل ، أو عن شيء منه ، فقرأه ما بين الفجر وصلاة الظهر ، كُتب له كأنما قرأه من الليل » . (مسلم)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كان يقوم من الليل ، فترك قيام الليل » .

(البخاري ومسلم)

« وكان رسول الله ﷺ ، إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره ، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة » . (مسلم)

يظهر جليًا مما سبق ، أنه ينبغي للعبد أن يحافظ على أعماله الصالحة ويتدارك ما فاته منها ، وأن لا ينقطع عنها مدى الحياة .

قيل لبعض السلف : يزعم بعض الناس أنهم يصِلون إلى مرتبة يسقط عنهم فيها التكليف !

فقال : إن هؤلاء قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهذه عندي عظيمة ، وإن الذي يسرق ويزني ، أهون حالًا من الذي يقول هذا ، وإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف سنة ، لم أنقُص من أعمال البر ذرة ، إلا أن يحال بي دونها .

كيف لا ، وقد قال تعالى لنبيه الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ . (الحجر : 99)

مما يعين على العمل الصالح

مما يعين على الأعمال الصالحة ، تذكّر ثوابها في الآخرة ، وصحبة الصالحين العاملين للصالحات ، فإن الإنسان ينشط للعمل إذا صاحب أهل النشاط في العمل ، وعدوى الخير تسري .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ . (التوبة : 119)

وفي الحديث الشريف : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » (أبو داود وغيره) - أي يصاحب - .

يصدّق ذلك ما جاء في حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، وسأل عالمًا : « هل له من توبة » ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟

انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون اللّه تعالى فاعبد اللّه معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء . (البخاري ومسلم)

ومن كلام السلف : صحبة أهل الصلاح تورث القلب الصلاح ، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد .

إذا أراد اللّه تعالى بعبد خيرًا ، رزقه صحبة الصالحين والأخيار ، ووفقه لقبول نصائحهم ، والاقتداء بهم في أعمالهم .

لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على اللّه مقاله .

ربما كنت مسيئًا ، فأراك الإحسان منك صحبتُك من هو أسوأ حالًا منك .

الدلالة على العمل الصالح

من شأن المؤمن الذي هداه اللّه تعالى إلى الخير والعمل الصالح ، أن يدعو غيره إلى ما هُدِي إليه ، وبذلك ينال أجره ومثل أجر من تبعه فيه :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ... ﴾ .

(المائدة : 2)

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ... ﴾ .

(آل عمران : 104)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

(فصلت : 33)

وفي الحديث الشريف : « من دلّ على خير ، فله مثل أجر فاعله » . (مسلم)

« من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر ، مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ... » .

(مسلم)

قبول العمل

على العبد أن يعمل الصالحات ، ويرجو من اللّه تعالى قبولها ، ويخشى ردَّها ؛ فمن وصف العبودية للّه عز وجل تعليق القلب بين الخوف والرجاء .

قال اللّه تعالى في عباده الصالحين الشاكرين الحريصين على العمل الصالح ، الضارعين إليه في جميع شئونهم ، التائبين إليه ، المعلنين استسلامهم لأحكامه :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ .
(الأحقاف : 16)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ .
(المائدة : 27)

ومن كلام عليّ كرّم اللّه تعالى وجهه : كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم للعمل ، وهل يقلُّ عمل يُتقبَّل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ . (المائدة : 27)

فعلى العبد المؤمن أن يعمل ، ويسأل اللّه تعالى القبول :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .
(البقرة : 127)

من علامات القبول

قبول الأعمال عند الله تعالى أمر غيبي ، لكن له علامات ؛ منها :

1 – أن لا يذكره صاحبه ، بل يتركه سرًّا بينه وبين ربه عز وجل ؛ لأن العمل المقبول يُرفع ، وإذا رُفع فلا يشهده صاحبه ، فكيف يذكره ؟

قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ . (فاطر : 10)

ومن علامات قبول العمل :

2 – التوفيق بعده إلى عمل صالح آخر :

قال بعض السلف : جزاء الحسنة حسنة بعدها ، وجزاء السيئة سيئة بعدها .

فالأعمال الصالحات يستجرّ بعضها بعضًا . والأعمال

السيئة يسوق بعضها إلى بعض .

قال بعض السلف : من وجد ثمرة عمله عاجلًا ، فهو دليل على وجود القبول آجلًا .

ومن علامات قبول العمل :

3 - أن يكون العامل صاحب تقوى :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .
(المائدة : 27)

الإخلاص في العمل

الإخلاص : هو إرادة العبد وجه اللّه تعالى في عمله ، واحتسابه الأجر عنده .

قال اللّه تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ . (الكهف : 110)

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ .
(البينة : 5)

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ... ﴾ . (آل عمران : 29)

وفي الحديث الشريف : « إن اللّه لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » . (مسلم)

« إن اللّه عز وجل ، لا يقبل من العمل ، إلا ما كان له خالصًا ، وابتغي به وجهُه » . (أبو داود والنسائي)

وسئل بعض السلف : ما غاية الإخلاص ؟

فقال : أن لا تحب محمدة الناس .

حُبوط العمل

حُبوط العمل : هو ذهابه سدىً من غير مثوبة ، ولا حسن جزاء ؛ وله أسباب منها :

1 - الكفر والردَّة عن الإسلام - والعياذ باللّه تعالى - :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

(البقرة : 217)

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . (المائدة : 5)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

(الأعراف : 147)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف : 105)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ ﴾ .

(الأحزاب : 19)

والردة عن الإسلام توجب القتل :

ففي الحديث الشريف : « لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيبُ الزاني ، والنفْس بالنفْس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (البخاري ومسلم) .

2 – ومما يحبط العمل الرياء : وهو ضد الإخلاص .

والرياء : هو أن يطلب العامل الدنيا بعمل الآخرة .

والرياء شرك خفيّ ، وهو محبط للعمل .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم

بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ [1] عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ [2] فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا [3] ... ﴾ . (البقرة : 264)

وفي الحديث القدسي : يقول اللّه تعالى :

« أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري ، تركته وشِركَه » . (مسلم)

وليس من الرياء أن يعمل العبد عملًا صالحًا فيثني الناس عليه بذلك خيرًا :

إذا لم يقصد هو ذلك .

قيل لرسول اللّه ﷺ : أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ، ويحمَدُه الناس عليه ؟ قال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » . (مسلم)

أي تلك بشرى له في الدنيا بصلاحه وفلاحه .

قال اللّه تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(1) أي حجر أملس . (2) أي مطر شديد .

(3) أي أجردًا نقيًا .

ٱلْأَخِرَةِ ﴾ . (يونس : 64)

جزاء العمل الصالح في الدنيا

للأعمال الصالحات جزاء عاجل في الدنيا ، قبل الثواب الآجل في الآخرة . فمن ذلك :

1 – حسن رعاية اللّه تعالى :

ففي الحديث القدسي : « ... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه » . (البخاري ومسلم)

2 – والمودة في قلوب المؤمنين :

قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ . (مريم : 96)

وفي الحديث الشريف : « إذا أحب اللّه تعالى العبدَ ، نادى جبريل : إن اللّه تعالى يحب فلانًا فأحببه . فيحبه

جبريل ، فيُنادى في أهل السماء : إن اللّه يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض» .. (البخاري ومسلم)

وفي الخبر : « ما أقبل عبد بقلبه إلى اللّه عز وجل ، إلا جعل اللّه قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة ، وكان اللّه عز وجل إليه بكل خير أسرع » . (الطبراني)

3 — والتمكين في الأرض :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾ . (النور : 55)

وقد حقق اللّه تعالى ذلك للمسلمين الأولين لما آمنوا وعملوا الصالحات ، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها ، ومنحهم التمكين والعزة والقوة .

4 – وحسن الذكر :

قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ . (الشعراء : 84)

يعني الثناء الحسن .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ .
(النحل : 122)

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ... ﴾ . (العنكبوت : 27)

أي جمع الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة ، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيء ، والمنزل الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسناء الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن ، وكل أحد يحبه ويتولاه .

5 – وتفريج الكروب :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . (الطلاق : 2 ، 3)

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ . (الطلاق : 4)

وفي الحديث الشريف : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللّه تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبِقُ - أي لا أقدّم في الشرب - قبلهما أهلًا ولا مالًا ، فنأى بي طلب الشجر يومًا ، فلم أرُح عليهما - أي لم أرجع إليهما - حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما - أي ما يشربانه عند العشيّ - فوجدتهما نائمين ؛ فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا ، فلبثت - والقدح على يدي - أنتظر استيقاظهما ، حتى برق الفجر ، أي ظهر ضوءه - والصبية يتضاغوْن - أي يصيحون من الجوع - عند قدميّ . فاستيقظا فشربا غبوقهما .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .

فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إليّ ، فأردُتها على نفسها - أي طلبت منها ما يطلب الرجل من زوجته - فامتنعتْ مني ، حتى ألَمَّتْ بها سنَةٌ من السنين - أي المجدبة - فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلّي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرتُ عليها ، قالت : اتق اللّه ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه . فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إليّ ، وتركت الذهب الذي أعطيتها .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرُج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أُجَراء وأعطيتهم أجرهم غيرَ رجل واحد ، ترك الذي له وذهب ، فثمّرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد اللّه أدِّ إليَّ أجري .

فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد اللّه لا تستهزئ بي . فقلت : لا

أستهزئ بك . فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئًا .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » .

(البخاري ومسلم)

وفي هذا الحديث الشريف : أن العمل الصالح مع الإخلاص ، يفرّج الكروب ، وينجي من الشدائد والصعاب .

الجزاء من جنس العمل

قضت حكمة اللّه تعالى أن يجعل جزاء العاملين من جنس أعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر :

قال اللّه تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(الأنعام : 160)

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ .. ﴾ .

(يونس : 26 ، 27)

وفي الحديث الشريف : « إن اللّه يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي : يا أهل الجنة – بصوت يسمع أولهم وآخرهم – إن اللّه وعدكم الحسنى وزيادة .

فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل » (مسلم)

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ . (الرحمن : 60)

أي ليس لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ . (النجم : 31)

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ .. ﴾ . (الروم : 10)

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . (القصص : 84)

وإليك تفصيل ذلك مما جاء في القرآن الكريم . والحديث النبوي الشريف :

جزاء الحسنات الحسنى

1 – في الهداية :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ .
(مريم : 76)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ .
(محمد : 17)

أي والذين قصدوا الهداية وفقهم اللّه تعالى لها ، فهداهم إليها ، وثبتهم عليها ، وزادهم منها ، وألهمهم رشدهم .

2 – في الذكر والإقبال على اللّه تعالى :

جاء في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إليّ شبرًا ، تقربت منه ذراعًا ، وإن تقرب إليّ

ذراعًا ، تقربت منه باعًا ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولة » .

(البخاري ومسلم وغيرهما)

وما جاء في هذا الحديث الشريف ، من التقرّب والهرولة بالنسبة إلى اللّه تعالى ، فمذهب السلف الإيمان به على ما يليق بعظمة اللّه ، وربنا ليس كمثله شيء .

ومذهب الخلف أن المراد بقرب العبد من اللّه تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح ، لا قرب الذات والمكان ، فإن ذلك من صفات الأجسام ، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس . والمراد بقرب اللّه تعالى من العبد ، قربُ نعمه وألطافه به ، وبرّه وإحسانه إليه ، وفيض مواهبه عليه ، وترادُف مننه عنده .

3 – في التماس رضا اللّه تعالى :

جاء في الحديث الشريف : « من التمس – أي طلب – رضا اللّه بسخط الناس ، رضي اللّه عنه ، وأرضى عنه الناس .

ومن التمس رضا الناس بسخط اللّه ، سخط اللّه عليه ، وأسخط عليه الناس » . (ابن حبان)

4 – في الصدق مع اللّه تعالى :

« جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ ، فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك . فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزاته ، غنم النبي ﷺ فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم . فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ . فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذا ؟! قال : قسمته لك .

قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى ها هنا – وأشار إلى حلقه – بسهم ، فأموت فأدخل الجنة .

فقال : إن تصدق اللّه يصدُقْكَ . فلبثوا قليلًا ، ثم نهضوا في قتال العدو . فأتي به إلى النبي ﷺ يُحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار . فقال النبي ﷺ : أهو هو ؟! قالوا : نعم . قال : صَدَق اللّه فَصدَقه » . (النسائي)

5 – في الحب في اللّه تعالى :

جاء في الحديث الشريف : « أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى ، فأرصد اللّه تعالى على مَدْرَجته – أي طريقه – ملكًا . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها عليه ؟ – أي تقوم بها وتسعى في صلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك ؟ – قال : لا ، غير أني أحببته في اللّه تعالى . قال : فإني رسول اللّه إليك بأن اللّه قد أحبك كما أحببتَه فيه » . (مسلم)

6 – في الحفظ وحسن الرعاية :

جاء في الحديث الشريف : « احفظ اللّه يحفظْك » (الترمذي) ... ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات . الصلوات الخمس ، والطهارة لها ، وحفظ الأيمان ، وحفظ الجوارح من المعاصي ، وحفظ القلب من الآفات : كالنفاق والرياء والحسد والكبر والعجب وحب الدنيا والتعلق بها ، والإصرار على المعاصي والمخالفات ...

ويدخل في ذلك فعل الواجبات جميعًا ، وترك المحرمات جميعًا .

وقوله ﷺ : « يحفظْك » يعني أن من حفظ حدود اللّه ، وراعى حقوقه ، حفظه اللّه ورعاه . وجعله في كنفه وتولاه ، فإن الجزاء من جنس العمل .

وحفظُ اللّه تعالى للعبد يتضمن نوعين :

أحدهما : حفظه له في مصالح دنياه : كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ...

والثاني : حفظه له في أمر دينه ، وحيلولته بينه وبين المعاصي .

7 – في النصر :

قال اللّه تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ . (محمد : 7)

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ... ﴾ . (الحج : 40)

فمن ينصر دين اللّه تعالى في الأرض ، ينصره اللّه تعالى على أعدائه .

وهذا مما حققه اللّه تعالى للمسلمين الأولين ؛ إذ نصروا

دين اللّه ، فنصرهم اللّه ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدوهم .

٨ – في العفو :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ [1] أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (النور : 22)

هذه الآية نزلت في الصديق ، رضي اللّه عنه ، حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبدًا ، بعدما قال في عائشة ، رضي اللّه عنها ، ما جاء في قصة الإفك .

فلما أنزل اللّه تعالى براءة أم المؤمنين عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب اللّه على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه ، شرع تبارك وتعالى – وله الفضل والمنّة – يعطف الصديق على قريبه ونسيبه ، وهو مسطح بن أثاثة ، فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر

---

(1) أي يحلف .

رضي اللّه عنه . وكان من المهاجرين في سبيل اللّه ، وقد زلق زلقة تاب اللّه عليه منها ، وضُرب الحد عليها .

وكان الصديق ، رضي اللّه عنه ، معروفًا بالمعروف ، له الفضلَ والأيادي على الأقارب والأباعد ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ . (النور : 22)

فإن الجزاء من جنس العمل ، فكلما تغفر ذنب من أذنب إليك ، يغفر اللّه لك ، وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : « بلى واللّه إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا » .

ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله به من النفقة ، وقال : « واللّه لا أنزعها منه أبدًا » .

في مقابلة ما كان قال : « واللّه لا أنفعه بنافعة أبدًا » .

فلهذا كان الصديق هو الصديق ، رضي اللّه عنه وعن ابنته الصدّيقة بنت الصدّيق .

9 – في الرحمة :

جاء في الحديث الشريف : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .
(البخاري ومسلم)

« مَن لا يرحمِ الناس لا يرحمه اللّه » .

(البخاري ومسلم)

10 - في الإنفاق :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ... ﴾ .

(سبأ : 39)

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي اللّه عنهما قالت :

قال لي رسول اللّه ﷺ : « لا تُوكي فيُوكى عليكِ » .

أي لا تدّخري ما عندك ، وتمنعي ما في يدك ، فيقطع اللّه عنك مادة الرزق . والجزاء من جنس العمل .

والإيكاء : شدّ رأس الوعاء بالوِكاء ، وهو الرباط الذي يربط به .

وفي رواية : « أنفقي ولا تُحصي فيُحصيَ اللّه عليك ، ولا تُوعي فيوعيَ اللّه عليك » . (البخاري ومسلم)

وعن قيس بن سلع الأنصاري رضي اللّه عنه أن إخوته شكَوْه إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا : إنه يبذر ماله ، ويبسط

فيه . قلت : يا رسول اللّه ؛ آخذ نصيبي من التمر ، فأنفقه في سبيل اللّه وعلى من صحبني . فضرب رسول اللّه ﷺ صدره وقال : « أنفق يُنفق اللّه عليك ، أنفق ينفق اللّه عليك ، أنفق ينفق اللّه عليك » .

قال : فلما كان بعد ذلك خرجت في سبيل اللّه ، ومعي راحلة ، وأنا أكثر أهل بيتي اليوم وأيسره . (الطبراني)

11 – في الرضا بالقضاء والسخط عليه :

في الحديث الشريف : « إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن اللّه تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » . (الترمذي)

12 – الفتور في العمل :

جاء في الحديث الشريف أمرٌ بالاعتدال والاقتصاد في الطاعات ، ونهي عن تحميل النفس منها مالا تطيق : من ذلك قوله ﷺ : « عليكم بما تطيقون ، فواللّه لا يملّ اللّه حتى تملّوا » . (البخاري ومسلم)

أي لا يقطع مثوبته عنكم ، حتى تنقطعوا عن العمل .

13 – في الاستعفاف والاستغناء والتصبّر :

فقي الحديث الشريف : « من يستعفف يعفَّه اللّه ، ومن يستغنِ يُغنه اللّه ، ومن يتصبر يصبّره اللّه » .

(البخاري ومسلم)

14 – في الرد عن عرض المؤمن :

جاء في الحديث الشريف :

« مَنْ ردَّ عن عِرض أخيه ، ردَّ اللّه عن وجهه النار يوم القيامة » . (الترمذي)

« مَن حمى عرض أخيه في الدنيا ، بعث اللّه عز وجل ملكًا يوم القيامة ، يحميه عن النار » . (ابن أبي الدنيا)

« ما من امرئ مسلم يخذُل امرأً مسلمًا ، في موضع تُنتَهك فيه حرمتُه ، ويُنتَقص فيه من عرضه ، إلا خذله اللّه في موطن يحب فيه نصرته .

وما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا ، في موضع يُنتقَص فيه من عرضه ، ويُنتَهك فيه من حرمته ، إلا نصره اللّه في

موطن يحب فيه نصرته » . (أبو داود)

15 - في اصطناع المعروف :

في الحديث الشريف : « لا يستر عبد عبدًا في الدنيا ، إلا ستره اللّه يوم القيامة » . (مسلم)

« مَنْ نفّس - أي فرّج - عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسّر على معسر يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ، ستره اللّه في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه » . (مسلم)

« أيّما مؤمنٍ أطعم مؤمنًا على جوع ، أطعمه اللّه يوم القيامة من ثمار الجنة . وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ ، سقاه اللّه يوم القيامة من الرحيق المختوم . وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عُرْي ، كساه اللّه يوم القيامة من حُلل الجنة » .

(الترمذي وأبو داود)

« يُحشَر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأجوعَ ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا قط ، وأنصب - أي أتعب

- مـ كـو قط . فمن كسا لله عز وجل ، كساه اللّه عز وجل . ومن أطعم لله عز وجل ، أطعمه اللّه عز وجل . ومن سقى لله عز وجل ، سقاه اللّه عز وجل . ومن عمل لله ، أغناه الله . ومن عفا لله عز وجل ، أعفاه اللّه عز وجل » . (ابن أبي الدنيا)

« كان رجل يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذ أتيت معسرًا فتجاوز عنه ، لعل اللّه أن يتجاوز عنا . فلقي اللّه فتجاوز عنه » . (البخاري ومسلم)

« حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس - أي - يعاملهم - وكان موسرًا ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال عز وجل : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » .

(مسلم)

« أتى اللّه تعالى بعبد من عباده ، آتاه اللّه مالًا ، فقال له - أي يوم القيامة - : ماذا عملت في الدنيا ؟ - ولا يكتمون اللّه حديثًا - قال : يا رب آتيتني مالَكَ ، فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز - أي التجاوز -

فكنت أتيسَّر على الموسر ، وأُنظر المعسر . فقال اللّه تعالى : أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدي » (مسلم)

« من أقال مسلمًا عثرته ، أقاله اللّه يوم القيامة » .

(الطبراني وغيره)

– وجاء في فضل رمضان : « من سقى صائمًا ، سقاه اللّه من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة » . (ابن خزيمة)

قال الشاعر :

من يصنع الخير لا يَعدَمْ جوازيه

لا يذهب العُرف بين اللّه والناسِ

جزاء السيئات السوء

وكما أن جزاء الإحسان الإحسان ، فجزاء السوء السوء : وإليك أمثلة على ذلك مما جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف :

1 – في الزيغ والضلال :

قال اللّه تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ

أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ... ﴾ . (الصف : 5)

أي لمّا عدلوا عن اتباع الحق ، مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان .

2 – في نسيان الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ... ﴾ .

(التوبة : 67)

أي عاملهم معاملة النسيان .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ . (الأعراف : 51)

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ... ﴾ .

(السجدة : 14)

أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ، إذ عاملتموه معاملة من هو ناسٍ له فسنعاملكم معاملة الناسي .

قال اللّه تعالى ذلك من باب المقابلة ؛ لأن اللّه تعالى لا ينسى شيئًا ، ولا يضل عنه شيء .

وقد حذَّر اللّه تعالى عباده المؤمنين ، أن ينسوه ويغفلوا عنه ، فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ... ﴾ . (الحشر : 19)

3 – في الاستهزاء والسخرية والضحك والمخادعة والمكر :

– قال اللّه تعالى في المنافقين : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... ﴾ .

(البقرة : 14 ، 15)

أي يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وفي الحديث الشريف : « إن المستهزئين بالناس ، يُفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة ، فيقال له : هَلُمَّ هلُم . فيجيء بكربه وغمه ، فإذا جاءه أُغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر ، فيقال له : هلمَّ هلمَّ . فيجيء بكربه وغمه ، فإذا

جاءه أُغلق دونه . فما يزال كذلك ، حتى إن أحدهم ، ليفتح له الباب من أبواب الجنة ، فيقال له : « هلم » فما يأتيه من الإياس » . (البيهقي)

– وقال تعالى في المنافقين أيضًا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ[1] ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ... ﴾ .

(التوبة : 79)

– وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ[2] ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ . (المطففين : 29 - 34)

– وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ... ﴾ . (النساء : 142)

---

(1) أي يعيبون . (2) أي متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين .

أي يعاقبهم معاقبة الخادع .

- ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ .

(الأنفال : 30)

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

(النمل : 50)

والمكر : تدبير الأمر في خفية .

والمكر من اللّه تعالى هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون .

4 - في الرغبة في الدنيا :

قال اللّه تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

(الإسراء : 18)

جعل اللّه جزاء من أحب العاجلة - وهي الدنيا - تعجيل ما أحب .

يعامل بذلك من شاء من عباده عقوبة لهم ، إذ أعطاهم عاجلًا فانيًا ؛ لرغبتهم في عاجلة فانية .

5 – في أكل أموال اليتامى ظلمًا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

(النساء : 10)

أي إذا أكلوا أموال اليتامى بغير حق ، فإنما يأكلون نارًا تتأجج في بطونهم يوم القيامة . فيجازيهم اللّه تعالى أكلًا بأكل ، والجزاء من جنس العمل .

6 – في الرياء :

جاء في الحديث الشريف : من سمّع سمع اللّه به ، ومن يرائي يرائي اللّه به » (البخاري ومسلم) . ومعناه : أن من أظهر عمله للناس رياء ، فضحه اللّه يوم القيامة .

ومن أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم ، أظهر اللّه سريرته على رءوس الخلائق يوم القيامة .

7 – في شرب الخمر :

في الحديث الشريف : « من مات مدمن خمر ، سقاه

اللّه جلّ وعلا من نهر الغوطة . قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجري من فروج المومسات ، يؤذي أهل النار ريحُ فروجهم » . (أحمد وغيره)

العمل محصيٌّ على فاعله ومسئول عنه

إن اللّه تعالى يحصي عمل العاملين ، فلا يضيع منه مثقال ذرة ، ليسأله عنه ، ويكافئ المحسن بإحسانه ، ويجزي المسيء بإساءته :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . (البقرة : 272)

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . (البقرة : 281)

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ... ﴾ .
(آل عمران : 30)

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .
(المائدة : 105)

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . (الكهف : 49)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ... ﴾ . (المجادلة : 6)

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

(الحجر : 93)

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الانفطار : 10 - 12)

- وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

(مسلم)

- « ولما فرغ رسول اللّه ﷺ من غزوة حنين نزل وأصحابه قفرًا ليس فيه شيء . فقال النبي ﷺ : اجمعوا ،

من وجد عودًا فليأت به ، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به . فما كان إلا ساعة ، حتى جعلوه ركامًا . فقال النبي ﷺ : أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ، ولا يُذْنِب صغيرة ولا كبيرة ، فإنها مُحصاة عليه » . (الطبراني)

الوقاية من السيئات فوز

قال الله تعالى في دعاء الملائكة للمؤمنين : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٖ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . (غافر : 9)

فمن حسن عناية الله تعالى بالعبد وحفظه إياه ، أن يحفظه من المعاصي والمخالفات التي تؤدي به إلى سخط الله وعذاب الله . ومن الفوز العظيم ، سلامته من ذلك .

الحسنات يذهبن السيئات

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ . (هود : 114)

وفي الحديث الشريف : « إن اللّه لا يمحو السيِّئَ بالسيِّئِ ، ولكن يمحو السيِّئَ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . (أحمد)

« اتقِ اللّه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخلق حسن » . (أحمد)

تكفير السيئات

المعاصي قسمان : صغائر وكبائر .

فالكبائر : ما ورد فيها وعيد شديد .

والصغائر : ما لم يرد فيها وعيد شديد .

ويكفّر الصغائر اجتنابُ الكبائر .

قال اللّه تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ .

(النساء : 31)

ومما يكفّر الصغائر : الوضوء ، والصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، والمشي إلى الصلاة ، والتسبيحات بعدها ، وصوم رمضان :

ففي الحديث الشريف : « من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظفاره » .

(مسلم)

« ألا أدلكم على ما يمحو اللّه به الخطايا ، ويرفع به الدرجات :

إسباغ الوضوء على المكاره - أي كما في شدة البرد - وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » . (مسلم)

« الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفِّراتٌ ما بينهن ، إذا اجتُنبتِ الكبائر » . (مسلم)

« من سبَّح اللّه في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين . وحمد اللّه ثلاثًا وثلاثين . وكبّر اللّه ثلاثًا وثلاثين . وقال تمام المائة : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » . (مسلم)

كما يكفِّر الصغائر كثير من الأعمال الصالحة ، والبلاء والهموم والغموم والآلام والأسقام ... جاءت في ذلك

أحاديث كثيرة متفرقة [1] .

وأما الكبائر : فلابدّ لها من توبة :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ . (النساء : 14)

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (الأعراف : 153)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الشورى : 25)

ومما يكفِّر الكبائر الحج :

ففي الحديث الشريف : « من حج فلم يرفُثْ ولم يفسقْ ، رجع كيوم ولدته أمه » . (البخاري ومسلم)

ومما يكفِّر الكبائر الإسلام ؛ بالنسبة لمن كان كافرًا فأسلم :

ففي الحديث الشريف : « الإسلام يجُبُّ ما قبله » . (الطبراني)

أي يقطع ما قبله من المعاصي حتى الكفر ، فلا إثم فيه ، ولا حساب عليه .

---

(1) انظر رسالتنا في التوبة تجد ذلك مفصلًا .

دفع السيئة بالحسنة

أثنى الله تعالى على عباده الصالحين بأوصاف كريمة : منها : دفع السيئة بالحسنة ، ومقابلة المسيء بالعفو ، والجاهل بالحلم .

قال الله تعالى في معرض الثناء :

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ [1] بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ . (الرعد : 22)

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

(فصلت : 34 ، 35)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ،

---

(1) أي يدفعون .

فإذا فعلوا ذلك ، عصمهم اللّه من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه وليّ حميم .

من أحسن فلنفسه

المحسن إنما يقطف ثمرة إحسانه في الدنيا ، وثواب إحسانه في الآخرة ، فإحسانه إنما يعود على نفسه .

قال اللّه تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ... ﴾ . (الإسراء : 7)

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ . (فصلت : 46)

العمل الذي لا ينقطع

قد يعيش الإنسان عمرًا طويلًا ، ويأتي فيه بكثير من الأعمال الصالحة : من صلاة وصدقة وصيام وتلاوة قرآن ، وذكر للّه تعالى ، وإحسان وإغاثة لهفان ...

فإذا مات طويتْ صحيفة أعماله ، فلا يستطيع أن يزيد في حسناته ، ولا أن ينقص من سيئاته .

إلا أن هناك أعمالًا تبقى آثارها بعد موته ، تتجدد له بها

حسنات».

قال اللّه تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ ... ﴾ .
(يس : 12)

أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم ، وآثارهم التي تركوها من بعدهم ، فنجزيهم على ذلك أيضًا ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها : من أثر حسن ، كعلم علموه ، أو كتاب صنَّفوه ، أو وقف وقفوه ، أو بناء بنوه من مسجد أو مدرسة أو مستشفى ، أو نحو ذلك .

وكذلك العمل السيِّئ : من آلات لهو وميسر ، أو كتب ضلال وإضلال ، أو نحو ذلك .

وفي الحديث الشريف : « من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن

ينقص من أوزارهم شيء » . (مسلم)

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .
(مسلم)

« إن مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته : علمًا علّمه ونشره ، وولدًا صالحاً تركه ، أو مصحفًا ورَّثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته » . (ابن ماجه)

« سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره : من علّم علمًا ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلًا ، أو بنى مسجدًا ، أو ورّث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته » . (أبو نعيم)

الأجر الذي لا ينقطع

عمل العبد في الدنيا ينقطع بموته ، ولكنّ المثوبة عليه في الآخرة دائمة لا تنقطع :

قال اللّه تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ . (القلم : 3)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (فصلت : 8) . أي غير مقطوع .

وقال عزو وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . (الكهف : 1 - 3)

فنعيم المؤمنين في الجنة دائم لا ينقطع ولا يبيد .

الأجر الحسن

وصف اللّه تعالى أجر المؤمنين العاملين بالحُسْن ، فقال : ﴿ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ... ﴾ .

(الفتح : 16)

الأجر الكبير

كما وصف الله تعالى أجر العاملين بأنه كبير ، فقال :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ .

(الإسراء : 9)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ . (الملك : 12)

الأجر الكريم

ووصف الله تعالى أجر المؤمنين العاملين بأنه أجر كريم .

فقال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ . (يس : 11)

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ .

(الحديد : 18)

الرزق الكريم

ووصف اللّه تعالى ما يكرم به عباده الصالحين في الجنة بأنه رزق كريم :

قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

(الأنفال : 2 - 4)

الأجر العظيم

ووصف اللّه تعالى أجر المؤمنين العاملين بالعِظَم ، فقال :

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . (آل عمران : 179)

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ

وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (الأحزاب : 35)

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ .
(الطلاق : 5)

مضاعفة الأجر

من فضل اللّه تعالى على عباده المؤمنين العاملين أنه يضاعف لهم الأجر على أعمالهم :

قال اللّه تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .
(الأنعام : 160)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (النساء : 40)

وفي الحديث القدسي : « إن اللّه كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك : فمن هَم بحسنة فلم يعملها ، كتبها اللّه عنده حسنة كاملة . وإن هَم بها فعملها ، كتبها

اللّه عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة . وإن هَم بسيئة فلم يعملها ، كتبها اللّه عنده حسنة كاملة . وإن هَم بها فعملها ، كتبها اللّه سيئة واحدة » .

(البخاري ومسلم)

فأقل المضاعفات عشر ، إلى سبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة :

﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(البقرة : 261)

هذا ومضاعفة الأجر تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال ، وبحسب درجات الإخلاص فيها ، وبحسب موقعها من اللّه تعالى ، والله عليم حكيم .

مضاعفة الأجر باختلاف الزمان

في الحديث الشريف :

قيل لرسول اللّه ﷺ : أي الدعاء أسمع ؟ - أي أسرع إجابة - قال : « جوف الليل الآخِر ، ودبر الصلوات المكتوبات » (الترمذي) ؛ يعني المفروضات .

« أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة » . (الطبراني والترمذي)

في الحديث الشريف : « أفضل الصيام بعد رمضان : شهر اللّه المحرم . وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .
(مسلم)

وكان ﷺ يصوم شعبان إلا قليلًا . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف أيضًا : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللّه من هذه الأيام - يعني أيام عشر ذي الحجة - قالوا : يا رسول اللّه ولا الجهاد في سبيل اللّه ؟! قال : ولا الجهاد في سبيل اللّه ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشيء » . (البخاري)

« صوم يوم عرفة يكفِّر السنة الماضية والباقية » . (مسلم)

« صيام يوم عاشوراء يكفِّر السنة الماضية » . (مسلم)

« من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر » . (مسلم)

« تُعرَض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن

يُعرض عملي وأنا صائم » . (الترمذي)

« ومن تقرّب في رمضان بخصلة - من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه . ومن أدّى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » . (ابن خزيمة)

وكان ﷺ أجود ما يكون في رمضان .

(البخاري ومسلم)

وكان ﷺ إذا دخل العشر - أي العشر الأواخر من رمضان - أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشدّ المئزر .

(البخاري ومسلم)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

(القدر : 1 - 3)

« عمرةٌ في رمضان تعدل حجة معي » . (البخاري ومسلم)

مضاعفة الأجر باختلاف المكان

في الحديث الشريف : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ،

وأبغض البلاد إلى اللّه أسواقها » . (مسلم)

- « الأبعدُ فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا ».

(مسلم وأبو داود)

- « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : يا رسول اللّه ، وما رياض الجنة ؟ قال : المساجد . قيل : وما الرتْع يا رسول اللّه ؟ قال : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر » . (الترمذي)

- « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » .

(البخاري ومسلم وغيرهما)

- « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » . (البخاري ومسلم)

وزاد في رواية : « وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » . (ابن ماجه)

- « الصلاة في مسجد قُباء كعمرة » .

(الترمذي والنسائي)

مضاعفة الأجر باختلاف الأحوال

- في الحديث الشريف : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » . (مسلم)

« ما من دعوة أسرع إجابةً من دعوة غائب لغائب » .

(أبو داود والترمذي)

- « سبق درهم مائة ألف درهم : رجل له درهمان ، فأخذ أحدهما فتصدق به . ورجل له مال كثير فأخذ من عُرضه - أي من عامّته - مائة ألف ، فتصدق بها » .

(النسائي وغيره)

وقيل لرسول اللّه ﷺ : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقلّ ، وابدأ بمن تعول » . (أبو داود وغيره)

- « ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله ، إلا باعد اللّه بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا » (البخاري ومسلم وغيرهما) أي سبعين سنة .

- « ذاكر اللّه في الغافلين ، كالمقاتل خلف الفارّين . وذاكر اللّه في الغافلين ، كغصن أخضر في شجر يابس .

وذاكر اللّه في الغافلين ، مثل مصباح في بيت مظلم . وذاكر اللّه في الغافلين ، يُغفَر له بعدد كل فصيح وأعجم » .
(مالك بن أنس)

أي بعدد كل إنسان وحيوان .

– ويقاس على هذا المتقي بين الفاسقين ، والطائع بين العاصين ، والقائم والناس نيام ...

واللّه تعالى وليّ التوفيق .

الجمع بين أعمال البر في يوم واحد

في الحديث الشريف : أن النبي ﷺ قال يومًا لأصحابه : « مَنْ أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ قال أبو بكر رضي اللّه عنه : أنا . قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا : قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : من عاد منكم اليوم مريضًا ؟ قال أبو بكر : أنا ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » . (مسلم)

من محاسن الأعمال

في الحديث الشريف : « عُرضتْ عليّ أعمال أمتي حَسَنُها وسيئها : فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط - أي يُنحى - عن الطريق . ووجدت في مساوئ أعمالها النُّخاعة تكون في المسجد لا تُدفَن » . (مسلم)

لا ينبغي احتقار عمل وإن قلّ

تتفاوت الأعمال الصالحة عند اللّه تعالى تفاوتًا عظيمًا .

فمن أعلاها بعد الإيمان أداء الفرائض ، واجتناب المحارم .

ومن أدناها : الكلمة الطيبة ، وإماطة الأذى عن الطريق .

ففي الحديث الشريف : « اتق المحارم تكن أعبد الناس » . (الترمذي وغيره)

وقال بعض السلف : ترك ذرة مما حرّم اللّه ، خير من قناطير من العبادة .

ولا ينبغي للعبد أن يحتقر عملًا صالحًا وإن قلّ ، وأن لا يتهاون بسيِّئ وإن قلّ :

قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

(النور : 15)

وفي الحديث الشريف : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً ، يرفعه الله بها درجاتٍ . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يُلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم » . (البخاري وغيره)

« لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقَى أخاك بوجه طليق » . (مسلم)

« تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة » .

(الترمذي وغيره)

« اتقوا النار ولو بشق تمرة » (البخاري ومسلم) – أي نصفها – .

« لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة » .

(البخاري ومسلم)

الفرسن من البعير كالحافر من الدابة ، وربما استعير في الشاة .

أي لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها ، بل ينبغي لها أن تجود بما تيسّر لها وإن كان قليلًا كفِرسن الشاة ، فهو من العدم . كيف وقد قال اللّه تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ . (الزلزلة : 7 ، 8)

فينبغي للمؤمن فعل ما استطاع من الصالحات والتمسك بالفرائض والسنن والآداب ، والبعد عن جميع السيئات :

قال بعض السلف :

من استهان بأدب من آداب الشريعة ، عوقب بحرمان السنة ، ومن تهاون بترك السنة ، عوقب بترك الفرائض ، ثم يقيِّض اللّه له مبتدعًا يذكر عنده باطلًا ، فيوقع في قلبه شبهة .

وقال غيره : من قال : هذه سنة يمكن تركها ، يقال له

في الآخرة : هذه درجة في الجنة يمكن حرمانك منها .

وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم ، يتمسكون بالسنن والآداب تمسّكهم بالفرائض والواجبات ، ويجتنبون المكروه اجتنابهم الحرام .

وهذا مسلك قويم ، وَهديٌ كريم ، يؤكد أنه الحقّ الذي ينبغي أن يتبع ما جاء في كتاب الله عز وجل ؛ فقد وصف الله تعالى المؤمنين المفلحين فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ [1] ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . (المؤمنون : 1 - 11)

---

(1) الذين جاوزوا الحلال إلى الحرام .

جمع اللّه تعالى في أوصاف المؤمنين الذين بشرهم بالفلاح ، بين العمل بالآداب : كالخشوع في الصلاة ؛ والإعراض عن لغو الكلام ... وبين القيام بالفرائض ، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ... والبعد عن الفواحش بحفظ الفروج ...

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ... ﴾ .

(الفرقان : 63 - 68)

أضاف اللّه تعالى هؤلاء العباد إلى اسمه الرحمن ؛ إشعارًا برضاه عنهم واستحقاقهم رحمته ، ووصفهم بأخلاقٍ كريمة ، وآداب رفيعة : كالتواضع والإعراض عن الجاهلين ،

وقيام الليل ، والتوسط في الإنفاق ...

كما وصفهم بتوحيده والبعد عن عظيم الجرائم والفواحش : كقتل النفس والزنى ...

هذا وصف المؤمن الحق ، وهذا شأنه : يستجيب لأمر الله تعالى ونهيه ، وأمر الرسول ﷺ ونهيه ، في صغير الأمر وكبيره .

وأما تصنيف الأوامر الشرعية في مراتب ، ووصف بعضها بالفريضة ، وبعضها بالوجوب ، وبعضها بالسنية ... وتصنيف المناهي ، ووصفُ بعضها بالحرمة ، وبعضها بالكراهة ، وبعضها بخلاف الأولى ... فهو تصنيف فقهي علميّ ، اجتهد فيه الأئمة المجتهدون رضي الله عنهم ، والأمر فيه يدور بين الرخصة والعزيمة ، ولكل منهما حال يحبه الله تعالى ، ويكره ضده ؛ تخفيفًا على عباده ، وهو الرءوف الرحيم .

ففي الحديث الشريف : « إن الله يحب أن تؤتى رُخَصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

(البزار والطبراني وابن حبان)

من أفضل الأعمال

بين الأعمال الصالحة تفاوت وتفاضل ؛ من ذلك :

1 – الإيمان والجهاد والشهادة :

« جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي اللّه أيّ العمل أفضل ؟ قال : إيمان باللّه ، وتصديق به ، وجهاد في سبيله . قال : أريد أهون من ذلك . قال : السماحة والصبر . قال : أريد أهون من ذلك . قال : لاتتّهم اللّه في شيء قضى لك به » . (أحمد)

وأتى الرجل النبي ﷺ ، فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل اللّه . قال : ثم مَنْ ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد اللّه ويَدَع الناس من شره » . (البخاري ومسلم)

الشِّعب : الطريق في الجبل .

« وسئل : رسول اللّه ﷺ : أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : طول القيام – أي في الصلاة – قيل : فأيّ الصدقة أفضل ؟

قال : جُهدُ المُقِلِّ . قيل : فأيّ الهجرة أفضل ؟ قال : من هجر ما حرّم الله عليه . قيل : فأيُّ الجهاد أفضل ؟ قال : من جاهد المشركين بماله ونفسه . قيل : فأيّ القتل أشرف ؟ قال : من أُهريقَ دمهُ وعُقِر جوادُه » . (أبو داود)

2 – الجهر بالحق :

في الحديث الشريف : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . (أحمد وغيره)

3 – الصلاة وبرّ الوالدين :

في الحديث الشريف : « أفضل الأعمال الصلاة لوقتها ، وبرّ الوالدين » . (مسلم)

وإنّما خصهما بالذكر ؛ لأنهما عنوان على ما سواهما من الطاعات ، فمن حافظ عليهما ، فهو لما سواهما أحفظ ، ومن ضيَّعهما كان لما سواهما أضيع ؛ فمن أهمل الصلاة مع كونها عماد الدين ، فهو لغيرها أهمل . ومن لم يَبَرَّ والديه ، مع وفور حقهما عليه ، كان لغيرهما أقلّ برًّا .

4 - صلاة الليل :

في الحديث الشريف :

« أفضل الصلاة بعد المكتوبة - يعني المفروضة - الصلاة في جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان ، شهر اللّه المحرم » . (مسلم)

5 - الصدقة :

في الحديث الشريف :

« أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمُل الغنى ، ولا تمهلْ حتى إذا بلغتِ الحلقوم، قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، ألا وقد كان لفلان » . (البخاري ومسلم وغيرهما)

« أفضل الصدقة جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » .

(أبو داود والحاكم)

وإنما كانت صدقة المقل أفضل ؛ لدلالتها على عظيم الثقة باللّه تعالى .

« أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح » .

(أحمد وغيره)

وهو الذي يضمر العداوة في باطنه ، ويطوي عليها كَشْحه .

أو هو الذي يطوي عنك كشحه ولا يألفك .

والكَشْح : ما بين الخاصرة إلى الضِّلع الخلْف .

فالصدقة عليه أفضل ؛ لما في ذلك من قهر النفس للإذعان لمن يعاديها .

وفي ذلك تألّف له وصلة رحم .

6 – النفقة على العيال :

« أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل اللّه ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل اللّه » . (مسلم والترمذي)

« دينار أنفقته في سبيل اللّه ، ودينار أنفقتَه في رقبة – أي في عتقها وتخليصها من الرقّ – ودينار تصدقتَ به على

مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ؛ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك » . (مسلم)

7 – الصيام :

« سئل رسول اللّه ﷺ : أي العمل أفضل ؟

فقال : عليك بالصوم ، فإنه لا عِدْل له » . (النسائي)

8 – الحج :

« سئل النبي ﷺ : أيُّ العمل أفضل ؟ قال : إيمان باللّه ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل اللّه . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » . (البخاري ومسلم)

المبرور : هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية .

قالوا : وعلامته أن يرجع الحاج خيرًا مما كان .

« عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : قلت : يا رسول اللّه نرى الجهادَ أفضلَ الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكنْ أفضل الجهاد وأجمله حج مبرور ، ثم لزوم الحُصر . – أي لزوم البيوت – قالت : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من

رسول اللّه ﷺ » . (البخاري والنسائي)

« وسئل رسول اللّه ﷺ : أيّ الحج أفضل ؟ قال : العَجُّ والثَّجُّ » . (الترمذي)

العجُّ : رفع الصوت بالتلبية .

والثَّجُّ : إراقة دماء الهَدْي والضحايا .

9 – ذكر اللّه تعالى :

« قال رجل : يا رسول اللّه ! إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلها ، فأخبرني بشيء أتشبّث به ، ولا تكثر عليّ فأنسى . قال : لا يزال لسانك رطبًا بذكر اللّه تعالى » .

(الترمذي)

« وسئل ﷺ : أي العباد أفضل وأرفع درجة عند اللّه يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون اللّه كثيرًا . قيل : يا رسول اللّه ! ومنَ الغازي في سبيل اللّه ؟! قال : لو ضَرب بسيفه – في الكفار والمشركين – حتى ينكسر ويختضب دمًا ، فإن الذاكر للّه أفضل منه درجة » . (الترمذي)

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ،

وأرفعها في درجاتكم ، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر اللّه تعالى » .

(الترمذي)

« أفضل الذكر : لا إله إلا اللّه ؛ وأفضل الدعاء : الحمد للّه » . (الترمذي وغيره)

« أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له » .

« أفضل العبادة الدعاء » . (رواه الحاكم)

« أفضل العباد درجة عند اللّه يوم القيامة : الذاكرون اللّه كثيرا » (أحمد والترمذي)

أفضل الكلام : « سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، والله أكبر » (أحمد)

10 – طلب العلم :

« من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا ، سلك اللّه به طريقًا

من طرق الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم . وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء . وإنّ فضلَ العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهما ؛ ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

(أبو داود والترمذي)

« وذكر للنبي ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم .

فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .

ثم قال : إن اللّه وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةَ في جُحَرها والحيتان في البحر ليصلوّن على معلم الناس الخير » . (الترمذي)

« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علمًا ، ثم يعلم أخاه المسلم » (ابن ماجه)

11 – حسن الخلق :

« ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق » . (الترمذي)

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

(أبو داود)

« إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقًا » . (الترمذي)

12 – الحب في اللّه والبغض في اللّه :

« إن أوثق عُرا الإسلام ، أن تحب في اللّه وتبغض في اللّه » .

(أحمد وغيره)

« أفضل الأعمال الحب في اللّه : والبغض في اللّه » .

(أبو داود)

13 – التودد إلى الناس :

« أفضل الأعمال بعد الإيمان باللّه : التودد إلى الناس » .

(الطبراني)

احتساب الأجر عند الله تعالى

احتساب الأجر عند الله تعالى معناه : طلب الأجر منه ، فالله تعالى هو الذي يجزي الطائعين بطاعتهم ، والعاملين بأعمالهم ، ويثيب الصابرين بصبرهم :

قال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(البقرة : 112)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . (البقرة : 277)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾ . (آل عمران : 185)

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . (النحل : 96)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر : 10)

وفي الحديث الشريف : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه . من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

(البخاري ومسلم)

« من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » . (مسلم)

وأرسلتْ بنت النبي ﷺ ، إن ابني قد احتُضِر – أي حضره الموت – فاشهدْنا . فأرسل يُقرئ السلام ويقول : «إن للّه ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكلٌّ شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » (البخاري ومسلم)

وفي الحديث القدسي : « ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه – أي حبيبه – من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة » . (البخاري)

وقالت أم سُليم لزوجها أبي طلحة رضي اللّه عنهما ، حين أخبرته بموت ولده وهي أمه : فاحتسبِ ابنك .

(البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار : « لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه ، إلا دخلت الجنة . فقالت امرأة منهن : أو اثنان يا رسول الله؟ قال : أو اثنان » . (مسلم)

وفي الحديث الشريف أيضًا : « إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة » .

(البخاري ومسلم)

ولما بعث أبو بكر رضي الله عنه جيوشًا إلى الشام ، خرج يُشيعهم ، فمشى مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ، – وكان أمير رُبع من تلك الأرباع – فقال يزيد لأبي بكر : إما أن تركب ، وإما أن أنزل . فقال له : ما أنت بنازل ، ولا أنا براكب ، إني أحتسب خُطاي في سبيل الله ...

(الطبراني)

« وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن الجهاد والغزو . فقال : يا عبد الله بن عمرو ، إن قاتلت صابرًا محتسبًا ، بعثك الله صابرًا محتسبًا » . (أبو داود)

فعلى المؤمن أن يمحّض أعماله للّه تعالى ، ويخلص له فيها ، ويحتسب أجره عند اللّه عز وجل .

لا ينبغي الاعتماد على العمل

مهما وفق اللّه تعالى العبد إلى أعمال صالحة ، فإنها ليست بالغةً به أن تؤهّله إلى دخول الجنة ، التي عرضها السموات والأرض ، والتي هي دار الخلود في النعيم المقيم .

وإنما يُدخل اللّه تعالى عباده السعداء جنته برحمته ، وبمحض فضله وإحسانه ، وجوده وكرمه ؛ ففي الحديث الشريف : « سَدِّدوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يُدخِل أحدًا الجنةَ عملُه . قالوا : ولا أنت يا رسول اللّه ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني اللّه برحمته » . (البخاري ومسلم)

والسداد : الاستقامة والقصد في الأمور ، والاعتدال فيها .

ومثله معنى قاربوا : أي اقتصدوا بدون غلوّ في الأمور .

وأما قوله تعالى في أهل الجنة : ﴿ وَنُودُوٓا أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ . (الأعراف : 43)

فمعناه : بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة ، فدخلتم الجنة ، وتبوّأتم منازلكم بحسب أعمالكم .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في أهل الجنة أيضًا :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ... ﴾ . (النساء : 70)

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ... ﴾ .
(النساء : 175)

فاللّه تعالى يتفضل على عباده بثوابه ، إذ لو كان في مقابلة العمل ، لما كان فضلًا : فسبحان اللّه ما أرحمه وما أكرمه !

– وعن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما ، قال :

« خرج علينا رسول اللّه ﷺ ، فقال : خرج من عندي خليلي جبرئيل آنفًا فقال : يا محمد ! والذي بعثك بالحق ، إن للّه عبدًا من عباده ، عَبَدَ اللّه خمسمائة سنة ، على رأس جبل في البحر ، عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ،

وأخرج له عينًا عذبة بعرض الإصبع ، تَبِضُّ - أي تسيل قليلًا قليلًا - بماء عذب ، فيستنقع في أسفل الجبل ، وشجرة رمان ، تُخرج في كل ليلة رمانة ، يتعبّد يومه ، فإذا أمسى نزل ، فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة ، فأكلها ، ثم عاد لصلاته . فسأل ربه عند وقت الأجل ، أن يقبضه ساجدًا ، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلًا ، حتى يبعثه وهو ساجد . قال : ففعل ، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا ، فنجد له في العلم أنه يُبعث يوم القيامة ، فيوقف بين يدي اللّه تعالى . فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي . فيقول : ربِّ بل بعملي ! فيقول اللّه : قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله . فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وبقيت نعمة الجسد فضلًا عليه . فيقول : أدخلوا عبدي النار . فيُجَرُّ إلى النار ، فينادي : رب برحمتك أدخلني الجنة . فيقول : رُدُّوه . فيوقف بين يديه ، فيقول : يا عبدي ! من خلقك ولم تك شيئا ؟ فيقول : أنت يا رب ! فيقول : من قواك لعبادتي خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب . فيقول : من أنزلك

في وسط اللُّجة - أي البحر - وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة ، وإنما تخرج مرة في السنة ، وسألته أن يقبضك ساجدًا ففعل؟ فيقول : أنت يا رب ! قال : فذلك برحمتي ، وبرحمتي أدخلك الجنة . أدخلوا عبدي الجنة ، فنِعمَ العبد كنت يا عبدي . فأدخله اللّه الجنة . قال جبرئيل عليه السلام : إنما الأشياء برحمة اللّه يا محمد » (رواه الحاكم ، وقال الحافظ للمنذري : وهذا الحديث صحيح الإسناد) .

ومن كلام السلف رضي اللّه عنهم : لا تطلب عوضًا على عمل ، لست له فاعلًا . - أي إن اللّه تعالى هو الموفق إليه ، والخالق له - .

يكفيك من الجزاء على العمل أنْ كان له قابلًا .

إذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق ونسب إليك .

- أي أيّدك بالتوفيق ، ونسب الأعمال إليك - .

لولا جميل سَتره ، لم يكن عملٌ أهلًا للقبول .

أنت إلى حلمه إذا أطعته ، أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته .

من علامات الاعتماد على العمل ، نقصان الرجاء عند وجود الزلل .

- فعلى العبد المؤمن أن يعمل ، ويجِدَّ في العمل ، ويخلص للّه تعالى فيه ، معتمدًا على رحمة اللّه تعالى ، طامعًا في عفوه وفضله وإحسانه .

جزاء العمل الصالح في الآخرة

من عظيم فضل اللّه تعالى على عباده المؤمنين الصالحين ، أنه يعجل لهم المثوبة على أعمالهم الصالحة في الدنيا ، فيعطيهم من المحاب ، ويدفع عنهم المكاره .

وما يخبؤه لهم في الآخرة من النعيم والثواب المقيم ، أجلّ وأعظم .

فقد أعد لهم في الجنة دار الخلود ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

قال اللّه تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا

رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . (البقرة : 25)

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ . (طه : 75 ، 76)

وقال تعالى في أهل الجنة بعد دخولهم الجنة :

﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (الأعراف : 43)

وفي الحديث الشريف : « إن اللّه لا يظلم مؤمنًا حسنة ، يُعطى بها في الدنيا ، ويُجزَى به في الآخرة ، وأما الكافر ، فيُطعَم بحسنات ما عمل بها للّه في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يُجزى بها » . (مسلم)

نِعْمَ أجر العاملين الجنة

قال اللّه تعالى في عباده الصالحين :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ .

(آل عمران : 136)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ .

(العنكبوت : 58)

وقال تعالى في أهل الجنة : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ [1] نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ . (الزمر : 74)

البشرى لمن يستمع فينتفع

يشرح اللّه تعالى قلوب السعداء للموعظة إذا سمعوها ، فينشطون للطاعات ، وينفرون من المخالفات ، ويُكثرون من الأعمال الصالحات . ومن شأنهم أنهم إذا مرّوا بآية رحمة ، استبشروا وسألوا اللّه تعالى الرحمة ، وإذا مرّوا بآية عذاب ، وجلت قلوبهم ، ودمعت عيونهم ، واستعاذوا باللّه من السخط والعذاب .

---

(1) أي أرض الجنة .

وهؤلاء مبشّرون بخير عظيم ، وأمر اللّه تعالى رسوله ﷺ أن يبشّرهم ، فقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ . (الزمر : 18)

والتبشير : الإخبار بما يظهر أثره على البَشَرة – وهي ظاهر الجلد – لتغيّرها بأول خبر يَرِد عليك . ثم الغالب أن يُستعمل في السرور مقيدًا بالخير المبشّر به ، وغير مقيّد أيضًا .

ولا يستعمل في الغم والشر إلا مقيدًا منصوصًا على الشر المبشَّر به . كما سيأتي في وعيد من ذُكر فلم يتذكّر ، قوله تعالى :

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . (لقمان : 7)

وعيدُ من ذُكّر فلم يتذكّر

وكما فتح اللّه تعالى مسامع السعداء للذكرى ، أصمّ آذان الأشقياء عن استماعها والانتفاع بها .

وكما وعد عباده المستمعين المنتفعين المثوبة وحسن الجزاء ، أوعد المعرضين بالويل والعذاب :

قال الله تعالى في معرض الذم : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا [1] فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . (لقمان : 7)

النجاة في النهي عن السوء

لابد للمؤمنين الصالحين ، من نهي المسيئين عن السوء ، وأمرهم إياهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ففي ذلك نجاة الصالحين ، وبقاء الدين وقيام صرحه المتين .

قال الله تعالى في بني إسرائيل :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ [2] بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ .
(الأعراف : 165)

وفي الحديث الشريف : « مَثَل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا – أي اقترعوا – على سفينة فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . وكان الذين في أسفلها ، إذا استقوا من الماء ، مرّوا على من فوقهم . فقالوا :

---

(1) أي صممًا . (2) أي شديد .

لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذِ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعًا . وإن أخذوا على أيديهم - أي منعوهم - نجوا ونجوا جميعًا » . (البخاري)

والقائم في حدود اللّه : معناه المنكرُ لها ، القائم في دفعها وإزالتها .

والمراد بالحدود : ما نهى اللّه تعالى عنه .

« وقيل : يا رسول اللّه ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَث » (البخاري ومسلم) - يعني الفسق والفجور - « والذي نفسي بيده ، لتأمُرُنَّ بالمعروف ، ولتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشكنّ اللّه أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » . (الترمذي)

وقال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ [1] لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ (المائدة : 105) . وإني سمعت

---

(1) أي الزموها .

رسول اللّه ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه – أي لم يمنعوه – أوشك أن يعمّهم اللّه بعقاب منه » . (أبو داود وغيره)

وروي أن اللّه تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام :

« إني مهلكٌ من قومك أربعين ألفًا من خيارهم ، وستين ألفًا من شرارهم . قال : يا رب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟! قال : إنهم لم يغضبوا لغضبي ، وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم » . (ابن أبي الدنيا)

إعلان البراءة من عمل المفسدين

أقلّ ما يستطيعه الصالحون ، إذا أمروا بالخير ونَهوا عن الفساد والشر فلم يُطاعوا ، أن يعلنوا براءتهم من عمل المفسدين :

– قال اللّه تعالى على لسان داود عليه الصلاة والسلام مخاطبًا قومه :

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

(هود : 54)

– ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا

تَعۡبُدُونَ ﴾ . (الزخرف : 26)

– وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام وأبيه :

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ ... ﴾ .

(التوبة : 114)

– وقال تعالى مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ :

﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ .

(الأنعام : 19)

– وقد أعلن الله تعالى براءته وبراءة رسوله ﷺ من المشركين فقال : ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ . (التوبة : 1)

﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ ... ﴾ . (التوبة : 3)

– وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(الشعراء : 214 - 216)

– وقال تعالى في شأن قومه :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . (يونس : 41)

عمل الكافر مردود عليه

لا عمل إلا من بعد إيمان ؛ فالإيمان أساس قبول الأعمال ، وعمل الكافر مردود عليه ؛ قال الله تعالى في الكافرين : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ [1] أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ... ﴾ .

(آل عمران : 117)

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ... ﴾ .

(التوبة : 54)

---

(1) أي برد شديد أو نار محرقة .

وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ .. ﴾ . (إبراهيم : 18)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ[1] يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ[2] يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ . (النور : 39 ، 40)

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ .

(الفرقان : 23)

وقال تعالى يحذّر المؤمنين من عمل الكافرين والمرائين ، ويصف عملهم بالضياع :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ

---

(1) أي في منبسط من الأرض . (2) أي عميق كثير الماء .

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ [1] عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ [2] فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا [3] لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . (البقرة : 264)

وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت : قلت : يا رسول اللّه ، ابن جُدْعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : « رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » . (مسلم)

أي لم يكن يؤمن باللّه ولا باليوم الآخر .

شهادة الأرض والأعضاء على الإنسان بعمله

من مشاهد القيامة الرهيبة ، أن من أنكر ما كان عليه من كفر أو معصية ، شهدتْ عليه أعضاؤه ، وشهدت عليه الأرض التي عصى اللّه عليها ؛ قال اللّه تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . (النور : 24)

---

(1) أي حجر أملس . (2) أي مطر شديد .

(3) أي أجردًا نقيًا .

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ . (يس : 65)

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(فصلت : 21 ، 22)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ... ﴾ . (الزلزلة : 1 - 4)

أي تحدّث بما عمل العاملون على ظهرها .

وفي الحديث الشريف : أن رسول اللّه ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (الزلزلة : 4) . ثم قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ . قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » . (أحمد وغيره)

ندامة المسيء

لا شكَّ أن المسيء حينما يرى يوم القيامة مثوبة المؤمنين العاملين ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ويرى عقوبة الكافرين والعاصين الذين عملوا السيئات ، تعظم ندامته على ما فرّط في جنب اللّه ، وعلى ما كان منه من معصية اللّه ، ويبوء بحسرة تكاد تقطع فؤاده . وشر الندامة يوم القيامة :

قال اللّه تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ... ﴾ . (آل عمران : 30)

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ . (الفرقان : 27 ، 29)

وقال تعالى ناصحًا عباده في قوله : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا

فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ .

(الزمر : 55 - 58)

وقال تعالى : ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾ .

(الأنعام : 31)

تمنّي المسيء الرجعة إلى الدنيا ليُحسن

فإذا اشتدت ندامة المسيء ، تمنّى أن يرجع إلى الدنيا ، ليؤمن باللّه تعالى ، وباليوم الآخر ، ويعمل صالحاً :

قال اللّه تعالى في وصف المجرمين : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ... ﴾ .

(المؤمنون : 99 ، 100)

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ .

(السجدة : 12)

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ... ﴾ .

(إبراهيم : 44)

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . (المنافقون : 10)

وقال تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة ، يقول فيه الكافرون :

﴿ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴾ .

(الأعراف : 53)

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا [1] رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴾ . (فاطر : 37)

* * *

---

(1) أي في النار .

نداء

فيها أيها المسلمون ! تحققوا بالعبودية للّه تعالى : أطيعوا أمره ، واجتنبوا نهيه . راقبوا اللّه تعالى ، واعلموا أن عليكم حافظين ، كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون .

بادروا إلى الأعمال الصالحة ، وأخلصوا فيها للّه عز وجل .

اغتنموا الأعمار ، وتزوّدوا من الدنيا بالتقوى والعمل الصالح .

كونوا من المحسنين ، واقطفوا ثمرات إحسانكم في الدنيا والآخرة .

كونوا دعاةً إلى العمل الصالح ، وقدوة صالحة للعاملين .

أتبعوا السيئة الحسنة ، وأقبلوا على اللّه تعالى بصادق التوبة وصحيح الإنابة .

احرِصوا على فضائل الأعمال التي تبلّغكم رضا اللّه تعالى ومثوبته .

واللّه تعالى ولي التوفيق .



دعاء

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . (النمل : 19)

وصلى اللّه على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد للّه رب العالمين .

* * *

المحتوى

هذا الكتاب

لقد سعد سلف هذه الأمة ، بما هُدُوا إليه من العمل الصالح ، وسعد بهم العالم أجمع ، حين انتشروا فيه انتشار العافية في الجسد المريض .

ويحدثنا التاريخ : أنهم عبّاد بالليل ، فرسان بالنهار ، لم يتركوا ميدان سبق إلا استبقوا إليه ، ولا مجال خير إلا أسرعوا إليه ...

ثم خلف من بعدهم خلف ، أخلدوا إلى الدنيا ، واسترسلوا في الشهوات ، وغلبت عليهم المادية الطاغية ، وأخذوا يتلمسون طريق النجاة ، تلمس الحائر الضال ، وراء الأمم المادية التائهة ... فلم يجدوه .. ح
أجنبي أعمى ، ومظاهر براقة خداعة ، ف
وضعفوا بعد قوة ، وشقوا بعد سعد وهناء

ولا سبيل إلى النجاة ، إلا بالعودة إلى
والاهتداء بشرعة الحق ، والعمل الصالح ال